انتصار . نصف طريق . كان النصف يقسم الناس الى نصفين . وكانت الدهشة تملأ الطقس :

نفرح .. أم نحزن ؟.

ان نصف الفرح هو نصف الحزن . ونصف الموت هو نصف الحياة . فمن أين تعالج الظواهر ؟

من القلب دائما .. من المستقبل .

ويعرف سرحان أن جسمه ــ الجزيرة عرضـــة للمد والجزر دائما . لم يحزن ولم يفرح . ولكن كثيرا من الايدي التي نبتت في جسمه بين يوم الغفران وليلة القدر قد اختفى او تراجع . صار صعبا عليه أن يعانق المرأة التي يحبها بيد واحدة .

نصف عناق ــ قلنا له لكي يبتسم .

قال : ان زنزانتي صارت أضيق . وهذا حسن . كلما ضاقت الزنزانة كلما اتسع الأفق في الخارج .. وامتد الميدان .

● تساءل متشائم : أيهما أسوأ : هذا الفجر الغامض الذي ننتظر الآن ، أم ذاك الليل الواضح الساطع الذي كنا نعرف أننا نسير فيه الى اتجاه ما ؟.

قال آخر : في دخان المعارك نرى أنفسنا . وفي دهاليز السلام لا نرى شيئا .

وقال متفائل : لم نخرج بعد من الليل الساطع الى الفجر الغامض . المعركة لم تنته.

وقال صحفي يعرف الأرقام والخسائر : لماذا نقاتل ؟ أليس من أجل السلام . تقولون إن السلام هو القتال ، وقد قاتلنا .

ــ لم يهزم العدو .

ــ ولم ينتصر .

ــ نفرح أم نحزن ؟

ــ هل هي وجهة نظر ؟ هل تنتظرون قرارا بالحزن، وقرارا بالفرح. ما هذا السؤال؟

ــ السلام بشع اذا كان وهما . وفي هذه الدهاليز لا نرى شيئا .

ــ والحروب لا تكون جميلة الا اذا كانت حرية .

ــ أشياء كثيرة تغيرت . أشياء كثيرة . المهم والأهم هو أننا تغيرنا وتحررنا من الأسر الذي اخترناه فاستعبدنا . تغيرنا . عرفنا أنفسنا . اكتشفنا ذواتنا ، وصار لنا رأي . المهم والأهم هو أننا عرفنا طريق الولادة . مشينا على شارع البداية ، فمن يردنا ؟

ــ لن نعود الى البيت وننتظر . لن نعود ، لان البيوت أسر ، والشوارع حرية . لن نعود .. لن نعود .

● حين ضاقت الزنزانة كثيرا .. أي حين صارت أقرب من الجلد الى الدم .. حين غاصت جدرانها في دمه ، كان سرحان يمشي بين الشاطىء والصحراء لملاقاة امرأة الفرح التي يحبها . وعند ما يبدو أنه آخر الطريق بين الشاطىء والصحراء كان الغموض يأخذ شكل حدود . سمع سرحان صوتا من الخلف . التفت . رأى الصوت قادما من شرفة